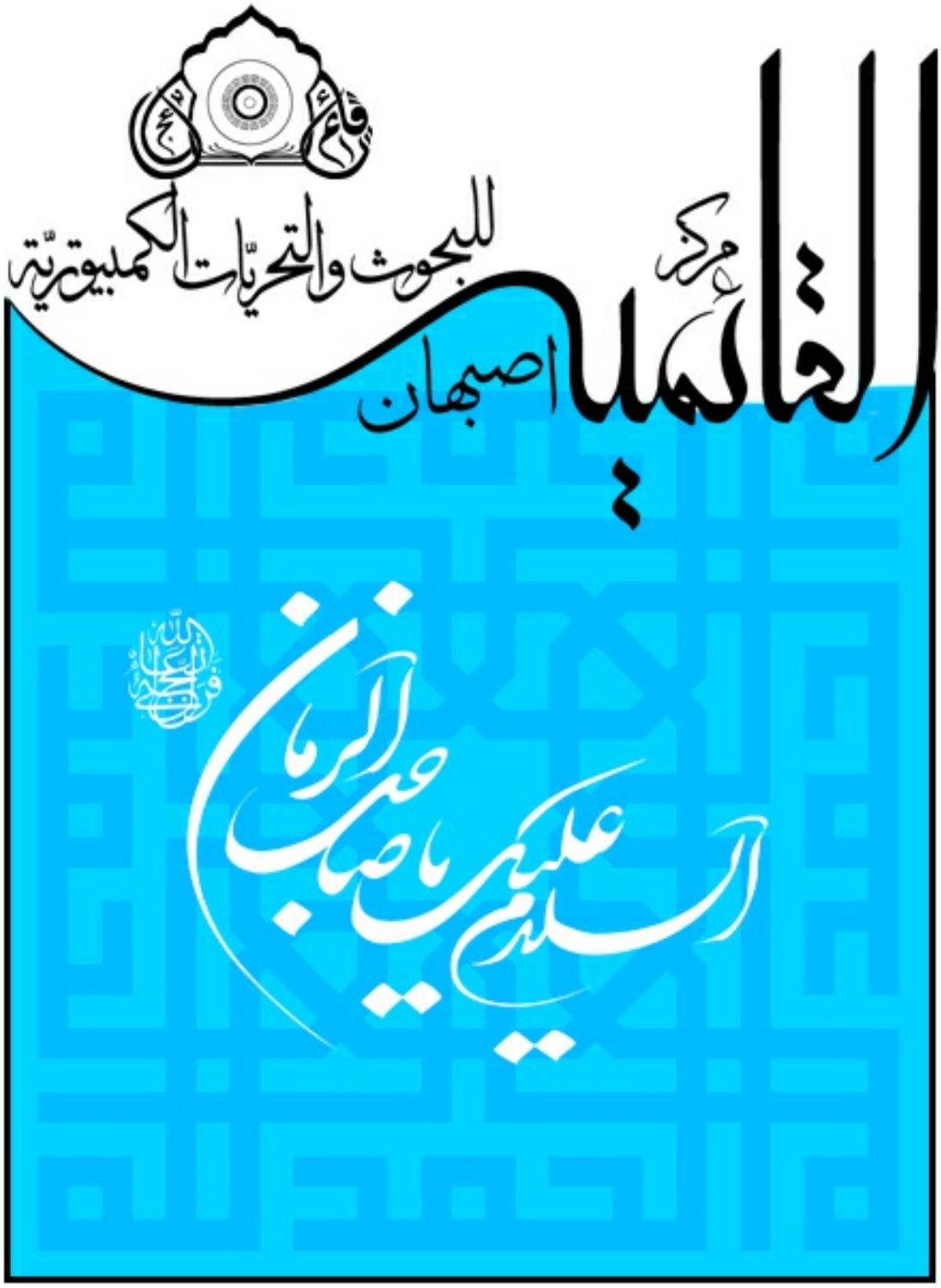

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سلسلة دراسات في عهد الإمام
علي (عليه السلام) للحكم الاشتراكي
(٣٠)
وحدة الدراسات الفقهية

تأصيل فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام)
مقاربة في عهده لمالك الأشتر (رضي الله عنه)

تأليف
م. د. حيدر حسن ديوان الاسدي

بسم الله الرحمن الرحیم

تأصيل فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام) مقارية في عهده لمالك الأشتر(رضى الله عنه)

كاتب:

حيدر حسن الأسدي

نشرت في الطباعة:

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

تأصيل فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام) مقارية في عهده لمالك الأشتر(رضى الله عنه) 6

هوية الكتاب 6

اشارة 6

مقدمة المؤسسة: 10

المقدمة 14

المبحث الأول المقاربة الاصطلاحية للعمران ومستوياته البنيوية 19

المستويات البنيوية للعمران: 33

المستوى العلمي والمعرفي: 35

المبحث الثاني مرتكزات فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام) 38

المرتكز الأول: وحدة العمران البشري والاقتصادي: 41

المرتكز الثاني: تحقيق النفع العام: 42

المرتكز الثالث: مرتكز الاستخلاف والتسخير: 50

المبحث الثالث اجراءات فقه العمران عند الامام علي (عليه السلام) 65

اشارة 65

أولا- إجراءات أولية. 65

ثانيا – بيت المال و الخراج والعمران: 73

ثالثا – اولوية العمران على جلب الخراج: 85

الخاتمة 94

المصادر والمراجع 97

المحتويات 104

تعريف مركز 105

تأصيل فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام) مقارية في عهده لمالك الأشتر (رضى الله عنه)

هوية الكتاب

تأصيل فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام) مقارية في عهده لمالك الأشتر (رضى الله عنه)

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية 4211 لسنة 2017

سلسلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضى الله عنه) (30) وحدة الدراسات الاقتصادية تأصيل فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام) مقاربة في عهده لمالك الأشتر (رضى الله عنه) تأليف م. د. حيدر حسن الأسدي إصدار مؤسسة علوم نهج البلاغة فى العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة العتبة الحسينية المقدسة الطبعة الأولى 1439 ه - 2017 العراق - كربلاء المقدسة - شارع السدرة مجاور مقام علي الأكبر مؤسسة علوم نهج البلاغة هاتف: 07728243600 - 07815016633 الموقع الألكتروني: www.inahj.org الإيميل: Inahj.org@gmail.com تنويه: إن الأفكار و الآراء المذكورة فى هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

ص: 1

اشارة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية 4211 لسنة 2017

ص: 2

جميع الحقوق محفوظة العتبة الحسـينية المقدسة الطبعة الأولى 1439 ه - 2017 العراق - كربلاء المقدسـة - شارع السدرة مجاور مقام علي الأكبر مؤسـسة علوم نهج البلاغة هاتف: 07728243600 - 07815016633 الموقع الألكتروني: www.inahj.org الإيميل: Inahj.org@gmail.com تنويه: إن الأفكار و الآراء المـذكورة فى هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر كاتبها، ولا تعبر بالضـرورة عن وجهة نظر العتبة الحسينية المقدسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤسسة:

الحمـد لله على ما أنعم وله الشـكر بما ألهم والثناء بما قـدم من عموم نعمٍ ابتـدأها وسـبوغ آلاء أسداها والصـلاة والسـلام على خير الخلق أجمعين محمد و آله الطاهرين.

أما بعد:

فإن من أبرز الحقائق التي ارتبطت بالعترة النبوية هي حقيقة الملازمة بين النص القرآني والنص النبوي ونصوص الأئمة المعصومين (عليهم السلام).

وإنّ خير ما يُرجع إليه في المصاديق لَحديث

ص: 5

الثقلين «كتاب الله وعترتي أهل بيتي» هو صلاحية النص القرآني لكل الأزمنة متلازماً مع صلاحيّة النصوص الشريفة للعترة النبوية لكل الأزمنة.

وما كتاب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضى الله عنه) إلا أنموذجٌ واحدٌ من بين المئات التي زخرت بها المكتبة الإسلامية التي اكتنزت في متونها الكثير من الحقول المعرفية مظهرة بذلك احتياج الإنسان إلى نصوص الثقلين في كل الأزمنة.

من هنا:

ارتأت مؤسسة علوم نهج البلاغة أن تخصص حقلاً معرفياً ضمن نتاجها المعرفي التخصصي في حياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وفكره، متّخذة من عهده الشريف إلى مالك الأشتر (رحمه الله) مادة خصبة للعلوم الإنسانية التي هي أشرف العلوم ومدار بناء الإنسان وإصلاح متعلقاته

الحياتية وذلك ضـمن سلسـلة بحثية علمية والموسومة ب (سلسـلة دراسات في عهد الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رحمه الله)، التي يتم إصـدارها بإذن الله تباعاً، حرصاً منها على إثراء المكتبـة الإسـلامية والمكتبة الإنسانية بتلك الدراسات العلمية التي تهدف إلى بيان أثر هـذه النصوص في بناء الإنسان والمجتمع والدولـة متلازمـة مع هدف القرآن الكريم في إقامة نظام الحياة الآمنة المفعمة بالخير والعطاء والعيش بحرية وكرامة.

والبحث الموسوم ب(تأصـيل فقه العمران عنـد الإمام علي (عليه السـلام) مقاربـة في عهد مالك الأشتر (رضوان الله عليه) تضـمن دراسـة مفصـلة للمظاهر العمرانية التي أوردها الإمام عليه السـلام في العهد الشريف وبيّن أهمية هذا الجانب في بناء الإنسان وكذلك دور العمران في استقرار الحكم وحفظ الأمن وكسب رضى الله والرغبة في اداء

عمل الحاكم، وبيّن أيضاً المرتكزات التي يقوم عليها عمران البلاد وضـرورة أن يأخـذ الحاكم بنظر الاعتبار إضافـة الى فقه العمران واجراءاته التي يجب أن تكون بالتساوي على الجميع.

فجزى الله الباحث كل خير فقد بذل جهده وعلى الله أجره والحمد لله رب العالمين.

السيد نبيل الحسني الكربلائي رئيس مؤسسة علوم نهج البلاغة

ص: 8

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد واله الطيبين الطاهرين، وبعد:

يستمد فقه العمران وجوده من التصور الإسلامي العام للكون، وربما المعنى اللغوي للفقه يعين على ذلك، وعليه ليس بالضرورة اقتصار المجتهد المعاصر على تلك الموضوعات التي كانت محل ابتلاء في الماضي، اذا ما اريد للفقه مدى اوسع (الفهم والتمكن)، وان كان التعريف الاصطلاحي محدد ب «العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من ادلتها التفصيلية» لكن ذلك لا يمنع من بحث الموضوعات ذات الافق الابعد، طالما تنتهي مرجعيتها الى القران الكريم والسنة الشريفة، وللعقل.

ص: 9

وعليه لابد من معالجة الجوانب ذات الصلة المنهجية والمعرفية بفقه السياسة وإشكالاته، إذ من المعروف وجود قراءات، وربما تنظير حول «شكل الدول وأحوالها ومدى استمراريتها»، والتملك والتغلب وأنواعه وكيف ينتهي به المآل.

ولذلك سلط البحث الضوء على ثلاثة امور تضمنها نهج البلاغة ولم تعط حقها بشكل كاف من قبل كثير من الباحثين:

الأولى: الرؤية العامة للعمران البشري، خصوصاً في نهج البلاغة

الثانية: ارتباط العمران بوجود مجال سياسي واجتماعي واقتصادي للدولة لكي ينتظم.

الثالثة: التعامل العلوي العملي مع الضبط النظري والمنهجي لفقه العمران.

لقد كان ابن أبي الحديد في منتهى الدقة والإنصاف

حين وصف هـذا (العهـد) بـأنه: نسـيج وحـده، ومنه تعلّم النـاس الآداب والقضايا والأحكام والسـياسة... وحقيق مثله أن يُقتني في خزائن الملوك.(1)

في ضوء هـذه المحاور العامـة للبحث نوقش الرأي السائـد القائل بأسـبقية ابن خلـدون في التنظير للعمران، وهـذا لا يعني إنكار اثر واهمية التنظير الخلدوني، و (يظن البعض ان ابن خلدون هو «مبدع» فلسـفة التاريخ أو «حكمته» والذي سماه بعلم العمران والاجتماع البشري، لا يُعترض على وجهـة العنصـر المذكور اعلاه، لكنه يجيب على أسـئلة الفلسـفة حول مصادر ابن خلدون ما دام ابن الازرق (ت: 887 ه) قد أخبرنا في كتابه «بدائع السـلك في طبائع الملك» ان ابن خلدون قد استفاد من «النص المقدس – والسنة النبوية الشريفة» في صياغة فلسفته العمرانية الى جانب استفادته من منجزات المفكرين

1- شرح نهج البلاغة: 2 / 310

الاسلاميي، حتى حددهم بخمسة الاف مفكر، واطلع على اكثر من خمسة عشر الف)(1)

والـدارس لنهج البلاغة، وخصوصا عهد الامام علي المالك الاشتر، يجد انه اشار وفصّل بشـكل واضح لهذه المسألة، وبعض جزئياتها مثل عمران الدولـة وبقائها وديمومتها، فمن المعلوم ان ابن خلدون ربط ذلك بمبدأ «العصبية»، وايده بعض الباحثين امثال محمد عابد الجابري، في حين الرؤيـة العلويـة ترهن بقاء وعمران او زوال الدول في مدى تعاطيها مع «الحقوق والواجبات»، مما يرجح اعتماد البعد المؤسـساتي في الادارة في الاصطلاح المعاصر.

ولما كان العمران هدفا سام في القران الكريم، وفي السنة المطهرة للنبي الأعظم محمد «صلى الله عليه و آله وسلم» وسيرة

1- د. علي حسـين الجابري، مفكرو الاسـلام والعمران البشـريفي فلسـفة الحضارة والاجتماع، المركز العلمي العراقي - بغداد، دار ومكتبة البصائر، بيروت - لبنان، ط 1، 2011 م

اهل البيت عليهم السلام، حاولت البحث في «التأصيل لفقه العمران عند الامام علي مقاربة في عهده المالك الاشتر» فجاءت الدراسة على ثلاثة مباحث:

الأول: المقاربة الاصطلاحية للعمران.

الثاني: مرتكزات فقه العمران عند الامام علي «عليه السلام».

الثالث: اجرائيات فقه العمران عند الامام «عليه السلام».

وانتهى البحث الى مجموعة من النتائج، واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

ص: 13

المبحث الأول المقاربة الاصطلاحية للعمران ومستوياته البنيوية

لفظ (عمران) مشتق من الجذر ع.م. روله عدة معاني:

الأوّل «سكن، بقي، أقام، استوطن».

الثاني: «تعمير، كثافة، به ناس كثر، استصـلح، هذّب جيدا، وعكسها قفر، صحراء، فظاظة»، الثالث: يمكن لمفردة عمران أن تعني أيضاً «بناء منزل، والسكن فيه، جعله مرفها»(1)

1- -2153. 2156 (1) (Lane, Arabic-English Lexicon, V, p). عن موقع: موسوعة الانسنة المتوسطية

هـذه المجموعـات الثلاثـة من المعـاني تعود كلهـا إلى معنيين أساسـيين: من جهـة إلى النشاط البشـري، ومن جهـة أخرى، إلى العنصـر الجغرافي، أي المكان الذي فيه النشاط الإنساني وتطوره(1).

والعمـارة من أعمرا وأعمره أي جعله آهلاـ وفي اللغـة أعمرت الأـرض وجـدتها عـامرة، قـال تعـالى: «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا»(2)، أي أذن لكم في عمارتها واسـتخراج قوتكم منها وجعلكم عمارها وعمر عليه أي أغناه. وقوله تعالى: (وَاسْتَعْمَرَكُمْ) أي أسـكنكم فيها ألهمكم عمارتها من الحرث والغرس وحفر الأنهارا وغيرها أي خلقكم لعمارتها(3). وحيث إن قوله تعالى (وَاسْتَعْمَرَكُمْ)

1- المصدر نفسه

2- سورة هود: 61

3- فؤاد عبد المنعم أحمد، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، 2001، ص 51

هو طلب مطلق من الله تعالى، ومن ثم يكون على سبيل الوجوب(1).

والاستعمار عند المفسرين هو طلب العمارة، والطلب من الله على سبيل الوجوب أي الفرض. وربط معنى العمارة المادية بالعمارة الروحية. والاستعمار هو جوهر حقيقة الاستخلاف، حيث المبدأ العام للشريعة إصلاح وعمارة الأرض، وتزجية معاش الناس فيها، وتحقيق التمكين عليها، وتعبيد الفعل البشري لله سبحانه، بحيث تكون جميع فعاليات الكون متوجهة إلى الله، ويكون الإنسان مقتدياً على قدر طاقته البشرية بالأفعال الإلهية، متخلقاً بأخلاق الله، ساعيا نحو أعمال صفات الله في الكون، وبهذا يتحقق الاتساق بين الفعل البشري،

1- عبد الهادي علي النجار، الإسلام والاقتصاد، سلسلة عالم المعرفة (63)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983، ص 61

والهدف أو المقصد الإلهي من وجود الكون(1).

وكان لفظ «عمران» يستخدم للتعبير عن أفكار حول الحياة، حول الساكنة، الأماكن الآهلة، واستصلاح أرض ما وتعميرها. وبهذا المعنى نجد في القرآن «وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا»(2)، واستعمل بمعنى أكثر واقعية بالرجوع إلى جهات الأرض المسكونة، التي يمكن فيها ميلاد الحياة وتطورها.

أما فكرة التعمير والاستصلاح فهي مرتبطة بالإنسان مشيرة إلى مكان يمكن الإقامة فيه أو مؤهلٌ لأن يكون عامرا إذا كان للنّباتات فهو مستصلح أو قابل للاستصلاح.

واستعمل ابن خلدون لفظ «عمران» في ثلاث ص: 17

1- نصر محمد عارف، نظريات التنمية السياسية المعاصرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسلامي، ط 4، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2006، ص 258 - 259

2- سورة الروم / 9

معان، احدهما عام، والاخرين خاصيَن:

المعنى العـام: ويعني به «الحضارة» اي التساكن والتنازل في مصـر أو حلـة للأنس بالعشـير واقتضاء الحاجات لما في طباعهم من التعاون على المعاش(1)

أما المعنيين الخاصـين فنجدهما عندما يتحدث عن نوعين من الحياة بربطها بما ينتج عن كل واحدة منها، وهما «عمران بدوي»، و «عمران حضري».

بينما نجد الامام عليه السلام يصنف الناس وبالتالي محيطهم الاجتماعي الى ثلاث اقسام، يقول: «الناس ثلاثة: فعالم رباني.. ومتعلم على سبيل نجاة.. وهمـج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريـح، لا يستضـيئون بنور العلم فيهتدوا، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق؛ فينجو»(2)، ومن المعلوم ان العلم والتعلم

1- المقدِّمة، ص 17

2- نهج البلاغة: ص 808، و حلية الأولياء لأبي نعيم، رقم الحديث: 239

سمة ملازمة للحضارة.

والملاحظ مع بـدايات القرن العشـرين، واتساع حركـة الاستشـراق في الدول العربية والاسـلامية انتقل لفظ الحضارة (civilization) الى المعجم العربي، وقـد حـدث اضـطراب واضح في المفاهيم لعدم وضوح تعريفات ألفاظ «ثقافة» و «حضارة» و «مدنية»، خاصة مع وجود المفـاهيم الثلاثـة في اللغـة العربيـة، على الرغم من عـدم وجود سوى مفهومين في اللغـة الانكليزيـة، ما أدى الى انقسام اتجاهات ترجمة المصطلح الى اتجاهين:

أحدهما: يرى انه مرادف للمدنية.

الآخر: يرى انه اقرب للحضارة، ويعد الاكثر شيوعا في الكتابات العربية.

ويعرف مالك بن نبي مفهوم الحضارة تعريفا فيه شيء من الحركية، يتحدد في ضرورة «توفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح

لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده، في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة الى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه»(1)

وفي الغالب يترجم لفظ عمران في اللغتين الإنجليزية وَالفرنسية بكلمة (حضارة civilisation) ان تحليل مختلف دلالات لفظ عمران، يسمح لنا بالعودة إلى الوقوف على إختيار ترجمة بعينها لضبط المصطلح وتدقيق المعني. أحد تلك الألفاظ التي استعملت لجعل «عمران» بمعنى مجتمع، كما فعل الباحث ناصيف نصّار، الذي اعتبر أن العلم الخلدوني، كعلم اجتماع بحق قبل وجود علم الاجتماع الحديث.

في حين يحيلنا لفظ (Sociologie) الحديث

1- مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، ط 5، بيروت، 2005 م، ص 50

إلى اللفظ العربي اجتماع مشتق من الجذر (ج. م.ع) (ضمّ بعضه إلى بعض، وضع معاً) ومنها علم الاجتماع (Sociologie). ويبدو ان هناك وحدة هوية بين لفظي «اجتماع» و «عمران».

ولفهم المعنى الفلسفي لكلمة عمران لا بد من الرجوع إلى فكرة العُمر: لنفس الجذر ع-م-ر التي اشتق منه الفعل عمّرَ، بمعنى «العيش طويلا»، والإسم عمر الذي يعني حياة أو فترة الحياة.

ان وضع السياسة في قلب «علم العمران»، والتعبّير عن ذلك بعبارات أرسطية كما فعل ابن خلدون في مناسبات عديدة يحتاج الى اعادة نظر ونقد، يقول: «الدولة والملك للعمران، بمثابة الصورة للمادة، وهو الشكل الحافظ بنوعه لوجودها»(1)، ما يقصده ابن خلدون هنا بالمادة هو العناصر التي تحيا عن طريق السياسة: «فالدولة دون العمران لا

1- مقدمة ابن خلدون، ص 150 - 151

تتصور، والعمران دون الدولة والملك متعذر»(1) كما أن ربط – ابن خلدون بوصفه منظرا لعلم العمران البشري في القرن الثامن الهجري – من عدم امكان تصور الدولة فكرةً ووجوداً بدون عصبية. وعدها «الامتدادً المكاني والزماني لحكم عصبية ما»(2)، وما انتهى له محمد عابد الجـابري ب ارتبـاطً عمر الدولـة، أي امتـدادها في المكـان وديمومتها في الزمان، بالعصبيـة أو العصبيات، وهو ما يفيـد ارتهانَ «العمران» وعمارة الأرض بهـذه القوّة التي أخـذت في المتن الخلـدوني اسم «العصبية» وما يدخل في معناها»(3)، نرى ان هـذا الربط اقرب لمنطق التغلب والتصارع منه الى روح الاجتماع والتنظيم الذي تسعى الدول المعاصرة لتحقيقه بغية انتعاش وتطور

1- المصدر نفسه

2- المصدر نفسه

3- 30. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، مركز الوحدة العربية، بيروت، 1994 من ص 213

دولهـا وظهورهـا كقوى عظمى وهو مـا يسـمى ب(دولـة الحقوق والمؤسـسات) التي تجعل الحاكم او رئيس الدولـة من ضـمن المنظومة المجتمعية.

ولقـد حاول محمـد عابـد الجابري تقـديم نظرة تبريريـة جديدة لمفهوم العصبية وري: ان مدلول العصبية عند ابن خلدون يختلف كثيرا عن مـدلولها في علم الاجتماع الحـديث والتي تعني (شـبكة من علاقات اجتماعيـة تنظم بين الأفراد والجماعات والقبائل) بل تعني عنده – أي عنـد ابن خلـدون – وسـيلة او اداة تسـتعملها القبيلة للدفاع عن نفسـها وعن مصالحها، وهي تشـبه دور الأسوار أو الجيوش بالنسـبة لحماية المدن(1).

ويبـدو لي ان موضوع العصبيـة مع وضوح جوانبه السـلبية الاـ انه يصـلح مع مجتمع البـداوة والقبيلـة، وارتبـاطه الوثيق بالبعـد الاقتصـادي للمجتمعات

1- المصدر نفسه، 160

البدائية او لنقل غير الحضارية.

ولا ـ نبالغ أذا ما قلنا أن نهج البلاغة تضمن مبادئ تنظم علاقة الحاكم مع رعيته، وهذا المبدأ هو الأصلح حضاريا، يقول الامام علي: «وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ – سُبْحَانَهُ – مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِى عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ، عَلَى الْوَالِى، فَرِيضةٌ فَرَضَهَا اللّهُ – سُبْحَانَهُ – لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لاُلفَتِهِمْ، وَعِزّاً لِدِينِهِمْ، فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ الْوُلاَةِ، وَلاَ تَصْلُحُ الْوُلاَةُ إِلاَّ بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ، فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِى حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِى إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِى بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأعْدَاءِ. وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِى بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الاْدْغَالُ فِى الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ

ص: 24

السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الْأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الْأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللّهِ سُبْحَانَهُ عِنْدَ الْعِبَادِ»(1).

ويميل الباحث الى ان مسائل علم العمران تتقاسمها علوم أخرى من زوايا متقاربة، وهو ما سمّاه ابن خلدون «الجريان العرضي» الذي به يمكن فهم الجانب الوظيفي للقضايا، وهي المجالات التي يهتم بها علم العمران(2).

ولقد تجاهل عدد من الباحثين أهمية التركيب الإبداعي الذي دعّم ابن خلدون به أصوليته، وقد نتج عن هذا التجاهل ثلاثة اتجاهات(3):

1- نهج البلاغة، ص 528

2- مقدمة ابن خلدون، ص 184

3- قراءة في كتاب علم العمران الخلدوني * تأليف: صالح طاهر مشوش، موقع المعهد العالمي للفكر الاسلامي

الأول: ينكر العلاقة بين علم العمران والعلوم الشرعية.

والثاني: يقر بوجود هذه العلاقة، ولكنه يقلل من أهميتها.

والثالث: يتمثل في التأكيد على أن للمجتمع والتاريخ والعمران قوانين موضوعية يجب الرجوع إليها للحصول على معرفة علمية موضوعية حول حركته وأحواله المتغيرة.

والحقيقة أن الغرض من تسليط الضوء على الفهم الخلدوني لعلم العمران هي من أجل ذكر العلاقة بين ما اكتشفه ابن خلدون من أثر الطبائع والأحوال وفهم الاجتماع الإنساني وما سبق اليه الامام علي في نهج البلاغة وتحويل هذه المؤثرات والمفاهيم إلى آليات عمل ضمها عهده للاشتر، ومشاريع بناء، وعمارة للأرض من اجل المساهمة في صياغة فعل إنساني يتجاوز انحطاط الواقع

وغموض المستقبل.

ولذلك لا بد من ربط تأصيل العمران بمنهج معرفي، وقواعد علمية من شأنها مواكبة المعطيات الحضارية لغرض خدمة المجتمع.

و (فقه العمران) هو من أنواع الفقه الغائب لعقود من الزمن، اندثرت كل محاولات التنظير والترشيد لفقه يحمل المسلم إلى عمارة الأرض وبنائها، وتأسيس نهضة مدنية لمجتمعاتها. وللأسف إن الغفلة عن هذا الفقه ليس في بيانه والتعريف به فحسب؛ بل تجاوز إلى إلغائه وإنكاره أحياناً من فقه الشريعة، واعتباره من مشاغل الدنيا الفانية على حساب الآخرة الباقية(1)!

يقول الله تعالى: وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا

1- مسفر القحطاني، الوعي الحضاري، الشبكة العربية للابحاث، ص 72

أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِى الْأَرْضِ إِنَّ اللّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»(1).

المستويات البنيوية للعمران:

العمران بصفة عامة يتحدد بثلاث مستويات اساسية، هي:

المستوى الاقتصادي: ويتجلى في طرق كسب العيش، والعمل والحصول على المال، وكيفية الحفاظ عليه وعدم اهداره، فقد روي عن الإمام عليّ (عليه السلام): «قِوامُ العيشِ حُسنُ التّقديرِ، ومِلاكُهُ حُسنُ التّدبيرِ»(2). وقال ايضا: «سُوءُ اَلتَّدْبِيرِ مِفْتَاحُ اَلْفَقْرِ»(3)، وقال (ع): «لِلمُؤمِنِ ثَلاثُ ساعاتٍ فَساعَةٌ يُناجى فيها رَبَّهُ وساعَةٌ يَرُمُّ مَعاشَهُ وساعَةٌ يُخَلّى بَينَ نَفسِهِ وبَينَ لَذَّتِها فيما يَحِلُّ ويَجمُلُ ولَيسَ

1- سورة القصص: الآية 77

2- غرر الحكم و درر الكلم: 7 / 680

3- الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، ص 284

لِلعاقِلِ أن يَكونَ شاخِصا إلّا فى ثَلاثٍ مَرَمَّةٍ لِمَعاشٍ أو خُطوَةٍ فى مَعادٍ أو لَذّةٍ فى غَيرِ مُحَرَّمٍ»(1)، ولقد اكد الامام على عدالة التوزيع على مختلف فئات المواطنين وهو ما عبر عنه بالطبقات، ولقد رد على من طلب منه ان يميز في العطاء فقال: (لو كان المال مالي لسوّيت بينهم فكيف والمال مال الله).

وسيرد الحديث عن موقفه (عليه السلام) من عدالة التوزيع وربطها بالعمران بشكل مفصل في المبحث القادم.

ومفهوم المعاش يجمع كل أشكال الأعمال المبذولة من الفرد لتحصيل وسائل العيش.

المستوى السياسي: ويتجلى ذلك في شكل السلطة وعدالة الحكم، ومراعاة حقوق الرعية (المواطن) بعيدا عن دينيه او عرقه، ولا نجد ابلغ من مقولة الإمام علي: (الناس صنفان إما اخ لك

1- نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، 390

في الدين او نظير لك في الخلق).

ويربـط الامـام علي بين النمور والازدهـار الاقتصـادي من جهـة والعمران والحريـة السياسـية والحكم العادل من جهـة اخرى، يقول (عليه السـلام) «لا يكون العمران حيث يجور السـلطان»(1)، ويؤكـد على قيمـة الحاكم وفضـيلته وملازمتها بما يقـدم من نشاط عمراني، يقول: «فضيلة السلطان عمارة البلدان»(2)

المستوى العلمي والمعرفي:

يقول الإمام علي «قيمـة كل امرئ ما يحسـنه» (6) أي ما يحسـنه من العلم والمعرفـة والعمل، ونجـده يقول: «اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به»(3).

1- تاريخ اليعقوبي: ج 2، ص 203

2- المصدر نفسه

3- تحف العقول، ص 141

ويعزز هذا الامر واهميته في بقاء وديمومة المجتمع وما يلحق به من تحديات، يقول (العلم سلطان من وجده صال به، ومن لم يجده صيل عليه).

وينعي الامام على أولئك الذين لا يعوا مغزى العلم والمعرفة وتحقيقها للديمومة الفردية والمجتمعية، التي تجعل الانسانية هي الهدف، فيقول: «قبيح بذي العقل أن يكون بهيمة وقد أمكنه أن يكون إنساناً، وقد أمكنه أن يكون ملكاً، وأن يرضى لنفسه بقنية معارة وحياة مستردة وله أن يتخذ قنية مخلدة، وحياة مؤبدة»(1).

ولا يخفى ان الربط بين العلم والمعرفة والعمران البشري هو من اهم غايات العلم والتعلم، وبه يصلح حال الفرد والمجتمع والنظام، وان فساد نسق معرفي معين يؤدي حتما الى انتهاء المجتمع الى

1- المصدر نفسه

حالة من الضياع، وعدم إسهامه في صنع الفعل الحضاري، وديمومته الاجتماعية.

ص: 32

المبحث الثاني مرتكزات فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام)

ورد لفظ اشـتقاق لفظ العمران والعمارة في نهـج البلاغـة سـبع مرات، اثنان أريد بها العمران المعنوي وخمس منها المادي، وهذه الإلفاظ الخمسة وردت جميعها في عهده عليه السلام للأشتر.

ويعد مصـطلح العمارة من أقرب المصـطلحات تعبيراً عن التنمية إذ يحمل مضـمون التنمية الاقتصادية والعمرانية وقد يزيد عنه فهو نهوض في مختلف مجالاـت الحياة الإنسانيـة – بصـفة أوليـة – جوانب التنميـة الاقتصاديـة بمعناها المتعارف عليه – والـذي لا يخرج عن تعظيم عمليات الإنتاج

ص: 33

المختلفة(1).

ويؤكد ذلك قول الإمام (عليه السلام) لمالك الاشتر النخعي لما ولاه مصر حين اضطرب أمر أميرها محمد بن أبي بكر: «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الاَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ، لاَنَّ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً»(2).

إن الإمام يرى في العمارة أبعد من مجرد الزيادة في الإنتاج أو رفع الدخل الاقتصادي للدولة، أو مضاعفة متوسط دخل الفرد، لأنها تتطلب عدالة في توزيع الدخل ورفع مستوى المعيشة لجميع أفراد المجتمع، دون استثناء، سواء من كانت لديه القدرة

1- فؤاد عبد المنعم أحمد، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها، ص 51

2- نهج البلاغة، ص 712

على الكسب، أم من يعجز عنه، إذ تقوم الدولة بضمان مستوى الكفاية لمن يحتاجها(1).

ويعتبر عدم الإسراف والتبذير في الاستهلاك، وفي تخصيص الموارد، من مستلزمات العمارة، حيث ينبغي أن تكون عند حد الكفاية، مع مراعاة الاستمرار في عمارة الأرض. ومع اقتران الاستخلاف بالتسخير للموارد لتسهيل التكليف، واقتران التكريم بحسن الخلق، فكراً وعقلاً وإرادةً، ومن خلال هذا الاستخلاف والتكريم، فان على الإنسان انتهاج السلوك الرشيد في تخصيص الموارد ونمائها وتنميتها(2).

1- د. حسن لطيف الزبيدي، الإسلام والتنمية الاقتصادية: سعة المضمون وتكامله: http://hasnlz.com/permalink / 3393 html

2- حمد إبراهيم منصور، عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية: رؤية إسلامية معاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 327

ويمكن استخلاص جملة من المرتكزات لفقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام):

المرتكز الأول: وحدة العمران البشري والاقتصادي:

بـدأ الامام علي عهـده المالك الاشتر بعد البسـلمة بقوله: «هذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُاللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيْرُالْمُؤْمِنِينَ، مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فِى عَهْدِهِ إِلَيْهِ، حِيْنَ وَلَّاهُ مِصْرَ: جِبوةَ خَرَاجِهَا، وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا، وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَ عِمَارَةَ بِلادِهَا»(1).

هنا الامام يقـدم مهمة جبوة الخراج والجهاد واستصـلاح اهل مصـر قبل عمارة البلاد، وهذا فيه بعد مرتبي، والاهم والمهم..... لكنه يعود في الايراد الثاني للعمران ليقول: «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الاَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ، لاَنَّ ذَلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ؛ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ

1- نهج البلاغة، ص 712

بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاّ قَلِيلاً»(1).

المرتكز الثاني: تحقيق النفع العام:

يقول الامام علي (عليه السلام) «فَإِن شَكَوا ثِقَلاً أو عِلَّةً، أوِ انقِطاعَ شِربٍ أو بالَّةٍ أو إحَالَةَ أرضٍ اغتَمَرَها غَرَقٌ، أو أجحَفَ بِهَا عَطَشٌ، خَفَّفتَ عَنهُم بِما تَرجو أن يَصلُحَ بِهِ أمرُهُم، ولا يَثقُلَنَّ عَلَيكَ شَيءٌ خَفَّفتَ بِهِ المَؤونَةَ عَنهُم، فَإِنَّهُ ذُخرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيكَ فى عِمارَةِ بِلادِكَ، وتَزيينِ وِلايَتِكَ»(2).

أي إذا شكوا ثِقَلاً أو علّة، يريد المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت ثمراته. وكذلك انقِطاع الماء عن الأرض في البلاد التي تسقى بماء الانهار. وكذلك انقطاع الماء عن الارض التي تسقى بالمطر. ويصل الأمر الى فساد

1- المصدر نفسه

2- نهج البلاغة، ص 713

بـذور الفلاـحين بـالتعفن او عمهـا من الغرق فغلبت عليها الرطوبـة حتى صار البـذر فيها غمقاً او أجحفت بالعطش و أتلفت وذهب بمادة الغذاء من الارض فلم ينبت. وهنا يؤكد الامام على ضرورة تدخل الدولة لإصلاح وعمارة ما فسد.

وهـذا الامر اتضح في مقاربات الفقهاء حيث ميزوا بين المرافق العامة وبين المباحات، فالمعيار الفقهي للتمييز بين الأموال المرصدة للنفع العام (المرافق العامة) وبين المباحات الأصلية والاختصاص الناتج عليها بعد:

الأشـياء أو الأموال التي تمنع أو تحول طبيعتها دون ان تتحول إلى الملكيـة الخاصة، تعتبر من المؤسـسات العامة كالطرق وغيرها(1)، وما تعلقت به مصلحة الناس ومنافعهم وحاجاتهم العامة كأفنية المدن والميادين العامة والاراضي المتروكة

1- ظ: أبو يوسف، الخراج، 97 - 98

حول القرى(1)، والمعادن الظاهرة والباطنة تكون منافع عامة لكل أفراد الأمة على اختلاف في ذلك.

وما خصص لمنفعة من المنافع العامة بناء على ما يراه الإمام والدولة يكون من المنافع المشتركة(2) تحقيقاً للنفع العام.

وعليه فان الأموال المباحة: هي الأموال التي اطلقها الشارع ولم يخصصها أو يرصدها للمنافع العامة، وإنما أباح الانتفاع وأباح تمليكها(3).

والأموال المرصدة للنفع العام هي: الأموال التي أباح الشارع الانتفاع بها واستعمالها دون إعطاء الحق بحيازتها أو وضع اليد عليها، لتغلب طابع النفع

1- ظ: ابن قدامة، المغني: 5 / 426

2- أبو عبيد: الأموال: 381، وظ: الشواني، نيل الأوطار: 5 / 349

3- د. محمود المظفر، الثروة المعدنية، دار الحق، ط 2، بيروت، 1419 ه - 1998، ص 86 - 87

العام عليها(1)، ومنع الأفراد تملك هذه الأموال، بسبب تعلق حق الجماعة بها لأهميتها، و ينتفع بها الناس باعتبارهم جزأ من الجماعة(2).

وثمة فارق رئيس بين المنافع المشتركة (المرافق العامة) وبين المباحات الأصلية وهو ان المباح الأصلي ناتج من عدم تدخل أي جهة في حصوله سواء كانت هذه الجهة على وجه العموم كالدولة، أو جهة خاصة كفرد من الأفراد فان المياه وجدت بشكل طبيعي دون تدخل أي شخص، وهذا غير حاصل في المؤسسات العامة كالوقف الذي هو ناتج من واقف، فما أباح الشارع الانتفاع بمنافعها فقط مؤسسة عامة، وما أباح الانتفاع بمنافعها وأعيانها مباحات أصلية.

1- المصدر نفسه

2- د. منذر عبد الحسين الفضل، الملكية ووظيفتها الاجتماعية في الشريعة الإسلامية، مجلة الحقوق، السنة السادسة، العد الأول 1982، ص 113 الكويت

فقـد ذكر أكثر الفقهاء ان المرافق العامـة لا يثبت بها اختصاص لاحد والناس كلهم فيها سواء(1)، فعمارة الأرض بالبناء والصناعة والزّراعة والانتفاع بما في باطنها من معادن و خيرات مطلوب من النّاس عامّةً، ومن المسلمين خاصّةً، فهو من مقتضيات الاستخلاف العامّ للنّاس في الأرض. قال الإمام الغزالي: «فإن جلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في تحصيل مقاصدهم».

وعمارة الأرض أمر دعا إليه الله تعالى في القران الكريم، قال تعالى: «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا»(2)

قال الطبري مؤكداً معنى العمارة في الآية: («واستعمركم فيها»، يقول: وجعلكم عُمّارًا فيها)(3).

1- ظ: الكاساني، بدائع الصنائع، 6 / 192، الطوسي: 30 / 276

2- سورة هود: 61

3- القرافي. الفروق 4 / 92

وقال البيضاوي: («واستعمركم فِيهَا» عمركم فيها واستبقاكم من العمر، أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها)(1).

وقال الطوسي: (وقوله «واستعمركم فيها» اي جعلكم قادرين على عمارة الارض، ومكنكم من عمارتها والحاجة إلى سكناها. والاستعمار جعل القادر يعمر الارض كعارة الدار)(2).

وعلى ما مر يكون معنى قوله: «هو أنشأكم من الأرض و استعمركم فيها» - و الكلام يفيد الحصر - أنه تعالى هو الذي أوجد على المواد الأرضية هذه الحقيقة المسماة بالإنسان ثم كملها بالتربية شيئا فشيئا و أفطره على أن يتصرف في الأرض بتحويلها إلى حال

1- الزركشي. المنثور في القواعد 3 / 35 انظر: السيوطي. الأشباه والنظائر 2 / 251

2- ابو جعفر محمد بن الحسن الطوسي التبيان في تفسير القرآن، الناشر: مكتب الاعلام الاسلامي طبع على مطابع: مكتب الاعلام الاسلامي الطبعة: الأولى، 1409 ه.، 6 / 15

ينتفع بها في حياته، و يرفع بها ما يتنبه له من الحاجة و النقيصة أي إنكم لا تفتقرون في وجودكم و بقائكم إلا إليه تعالى و تقدس.

وقال مجاهد معنى «استعمركم فيها» أي اعمركم بأن جعلها لكم طول اعماركم، وفي الآية دلالة على فساد قول من حرم المكاسب، لانه تعالى امتن على خلقه بأن مكنهم من عمارة الارض فلو كان ذلك محرما لم يكن لذلك وجه، والعبادة لا تستحق إلا بالنعم المخصوصة التي هي أصول النعم فلذلك لا يستحق بعضنا على بعض العبادة ابتداء، وان استحق الشكر، ولذلك لا تحسن العبادة ابتداء، كما لا يحسن الشكر إلا في مقابلة النعم(1).

وقال العلامة الطباطبائي: (العمارة ضد الخراب يقال: عمر أرضه يعمرها عبارة قال: «و عمارة المسجد الحرام» يقال: عمرته فعمر فهو معمور قال :

1- الطوسي، التبيان: 6 / 15

«و عمروهـا أكثر ممـا عمروها» «و البيت المعمور» و أعمرته الأرض و اسـتعمرته إذا فوضت إليه العمارة قال: «و اسـتعمركم فيها» فالعبارة تحويل الأرض إلى حال تصـلح بها أن ينتفع من فوائدها المترقبة منها كعمارة الدار للسـكنى و المسـجد للعبادة و الزرع للحرث و الحديقة لاجتناء فاكهتها و التنزه فيها و الاسـتعمار هو طلب العمارة بأن يطلب من الإنسان أن يجعل الأرض عامرة تصـلح لأن ينتفع بما يطلب من فوائدها)(1).

والاسـتعمار عند كثير من المفسـرين هو الإعمار، أي جعلكم عامرينها، فالسّين والتاء للمبالغة كالتي في استبقَى واستفاق. ومعنى الإعمار أنهم جَعلوا الأرض عامرة بالبناء والغرس والزرع؛ لأنّ ذلك يُعدّ تعميراً للأرض حتى سُمّي الحرث عِمارة؛ لأنّ

1- الميزان في تفسير القران: 10 / 310

المقصود منه عَمر الأرض(1).

فمقصود هـذه الآيات وغيرها واضـح الدلالـة في بيان مقصود العمارة من خلق الإنسان، وأنه واجب على مجموع الخليقـة في القيام به، وقد نص على حكم الوجوب الإمـام الجصـاص في قوله: «(واسـتعمركم فيهـا) يعني أمركم من عمارتهـا بمـا تحتـاجون إليه، وفيه الدلالـة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية»(2).

المرتكز الثالث: مرتكز الاستخلاف والتسخير:

خلق الله الكون من اجل الإنسان وجعله مسـتخلفاً له في الأرض وسخر له كل شيء، ويمكن بيان الرؤية القرآنية للاستخلاف والتسخير من خلال الآتي:

1- ظ: الماوردي: النكت والعيون 1 / 252. البغوي: معالم التنزيل 2 / 89. ابن عاشور: التحرير والتنوير 3 / 186

2- الجصاص، احكام القران: 3 / 378

أولا – الاستخلاف:

عقيدة الاستخلاف تقدر ان كل شيء في الوجود انما هو ملك لله تعالى خالقه وخالق السموات والأرض وما بينهما، وان الإنسان فيما لديه من مال انما هو حائز لوديعة أودعها الله بين يديه، فالله وحدهُ الذي له ملك السماوات والأرض، والإنسان هو خليفة الله في الأرض امره خالقه بالانتفاع بهذا المال في صورتيه، ومكنه من هذا الانتفاع منسجماً مع مصلحة المجتمع الذي يعيش فيه، ومصلحة الإنسانية بوجه عام(1).

فالأفراد وفقاً لمبدأ الاستخلاف في الأرض قد جعل الله لهم سلطاناً مباشراً على ما فيها من الخيرات والطيبات ومكّن لهم الانتفاع منها بما اعطاهم ووهبهم من القوى العقلية والجسمية، وبناءً على

1- الشيخ يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، دار التعارف، ط 1، 1993 م، بيروت، ص 145

هذا الاستخلاف العام فان الأصل اشتراك البشر جميعاً في الانتفاع مما أوجد الله في الأرض من خيرات وطيبات(1).

إن الله تعالى أوجب على الإنسان كثمرة من ثمرات النيابة الإلهية له باستخلاف وإمكانية الانتفاع بالمخلوقات ان يعمر الأرض ويستثمر الموارد، وقد غرست الآيات القرآنية الكريمة عقيدة الاستخلاف، قال تعالى: «هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا»(2)، أي أمركم بعمارتها(3).

وعقيدة الاستخلاف تجعل المسلم يحس دائماً (ان الله خالق هاذ الكون ومالكه الاصلي، والمال

1- فقه البيئة، شبكة المعلومات العالمية (الانترنت)

2- سورة هود: 61

3- ظ: ابن عربي، احكام القرآن: 3 / 1059، الرازي ، التفسير الكبير،، 18 / 17، الزمخشري الكشاف، 2 / 278 القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9 / 56، الجصاص، احكام القرآن: 3 / 23، الطباطبائي، الميزان: 10 / 310

الذي في ايدي البشر هو مال الله وهم فيه خلفاء لا اصلاء)(1).

قال تعالى: «آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ»(2)، وقوله تعالى: «وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ»(3).

فقد استخلف الله الإنسان في الكون ليدير موارده ويعمره ويظهر أسرار الله وقدرته في خلقه وهي مهمة ارادت الملائكة ان تكون لها، وارادها الله للانسان تكريم له: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»(4)، وقد ذكر ان

1- السيد محمد تقي الشيرازي، الاقتصاد، ص 37

2- سورة الحديد: 7

3- سورة النور: 33

4- سورة البقرة: 30

المراد من الخليفة المعنى المجازي، قال الطاهر بن عاشور: (المراد من الخليفة المعنى المجازي وهو الذي يتولى عملاً يريده المستخلف مثل الوكيل والوصي أي جاعل في الأرض مدبراً يعمل ما نريده في الأرض فهو استعارة أو مجاز مرسل وليس بحقيقةٍ، لان الله تعالى لم يكن حالاً في الأرض ولا عاملاً فيها العمل الذي اودعه في الإنسان وهو السلطة على موجودات الأرض؛ ولان الله لم يترك عملاً كان يعمله فوكله إلى الإنسان بل التدبير الاعظم لم يزل الله تعالى فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي استطاع بما اودع الله في خلقه ان يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي خلاف غيره من الحيوان)(1)

ومن هنا فان الخلافة هي تكليف بمهمة الانتفاع بموجودات الكون يكون الإنسان فيها سيداً في الكون لا سيداً للكون، فسيد الكون

1- التحرير والتنوير: 1 / 398

وحاكمه ومالك امره هو الله سبحانه وتعالى، ولان الإنسان هو احد مخلوقاته قد تميز بالعقل فقد كرمه الله وانعم عليه نعمة الاستخلاف تمييزاً له عن غيره من المخلوقات(1). قال تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»(2).

وقد اثارت مسألة الاستخلاف قضية مهمة تتعلق بسلطنة الإنسان الموارد الطبيعية هل هو نحو ملكية الرقبة ام حق اختصاص بالانتفاع أي ملكية انتفاع – وقد رجح احد الباحثين حق الاختصاص بالانتفاع (ملكية الانتفاع) وذلك للأسباب الآتية(3):

1– ان كثيراً من نصوص القرآن الكريم تضيف الملكية إلى الله تعالى: «آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا

1– الإسلام والبيئة، ص 3. (انترنت)

2– سورة الإسراء: 70

3– الإسلام والبيئة، ص 2، الشبكة العنكبوتية (انترنت)

مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ»(1)، وقوله تعالى: «وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ»(2)، وقوله تعالى: «لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى»(3)، وقوله تعالى: «لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ»(4)، (فإذا كان المال مال الله، وكان الناس صحيحاً عباد الله، وكانت الحياة التي يعلمون فيها ويعمرونها بمال الله وهي لله، كان من الضروري ان يكون المال – وان ربط باسم شخص معين – لجميع عباد الله يحافظ عليه الجميع وينتفع به المجتمع)(5).

2- إن وجود الإنسان في هذه الحياة مؤقت

1- سورة الحديد: 7

2- سورة النور: 33

3- سورة طه: 6

4- سورة المائدة: 120

5- الشيخ محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ط 19، القاهرة، 2007 م، ص 33

واستخلافه فيها مؤقت أيضا ولذلك كان انتفاعه بمواردها مؤقت: «وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»(1)، وهذا التحديد الزمني للبقاء يترتب عليه تحديد للاستخلاف والانتفاع ومن هنا تبرز أحقية الأجيال المتعددة في الانتفاع بالموارد الطبيعية وضرورة ان يعي الإنسان هذه الحقيقية لكي يحفظ للأجيال التي بعده حقها في الانتفاع بما خلق الله في هذا الكون.

3- ان شعور الإنسان بملكيته الدائمة للموارد يثير فيه الفساد المؤدي إلى نضوب الموارد، ولذلك كانت الآيات الكريمة واضحة في النهي عن الفساد في الأرض: «وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي

1- سورة البقرة: 36

الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ»(1).

وفي ضوء ذلك قال احد الباحثين: «ولا نتجاوز روح التشريع الإسلامي إذا قلنا: ان القواعد والمبادئ الأساسية المنظمة لاستخلاف الإنسان في الأرض ومضمونها تنزل (حق الإنسان) على موارد الطبيعية من (حق الملكية) إلى مرتبة (حق الانتفاع) فقط، والذي تقل فيه سلطان صاحبه عن سلطان المالك وفكرة حق الانتفاع تبدو أكثر ملاءمة إذا روعيت القواعد الشرعية في أعماله، فلن يكن الانتفاع قاصراً على شخص دون آخر ومن ناحية ان المنتفع لا يجوز له إهدار أو تدمير أصل أو عين المال الذي ينتفع به، لان سلطة التصرف الشرعي في المادة لا تكون للمنتفع بل لمالك العين أو الرقبة»(2).

1- سورة الأعراف: 74

2- احمد سلامة، حماية البيئة في الفقه الإسلامي، مجلة الاحمدية، دبي سنة 1998، ص 295، عن احمد فتح الله الزيادي W.W.W.islamicrabta.com

ان فهم الواقع نافـذة تساعـد على تحقيق الاهـداف والمبادى العليا للتشـريع، وهو أمر ضـروري يلزم عنه ضـرورة النظر في توافق العُرف مع الشـرع أو مخالفته، وذلك لأن مصادر الوحي تتوافر فيها الأدلـة والقواعد والأحكام اللازمة والشـروط العلمية والمبادئ الأصولية التي تمكّن الفقيه من التمييز بين العُرف المعتبر شرعاً وغيره. وفي مجال فقه العمران يلزم التركز على محورين، هما:

1- فطرة الإنسان.

2- طبيعة العمران.

ومن خلالهما فإنّ علم العمران مؤهل لتقديم خدمات معرفية لتلك الأصول(1).

والكلام عن عقيدة الاستخلاف في حياة المُسلم ينطوي على نماذج ومشاريع إصلاحية عديدة، يحاول

1- قراءة في كتاب علم العمران الخلدوني تأليف: صالح طاهر مشوش، موقع المعهد العالمي للفكر الاسلامي

أصـحابها إيجاد طريقة لتفعيلها في حياة المُسـلم، فهو ليس معزولاً عن علم العمران، وأهميته لا تقل عن العمران، بدلالة الإرادة الإلهية في خلق الإنسان.

ولذلك يمكن الاستعانة بمفاهيم أخرى لتوضيح عقيدة الاستخلاف، ينبني بعضها على نظام كلي، تشكل مادته ثلاث قضايا أساسية، هي:

- مرجعية النص الوحياني.

- الفطرة السليمة التي هي عماد العمران البشري.

- الاستناد لمبدأ التسخير، ولاهمية نسلط الضوء عليه بشيء من التفصيل.

ثانياً - التسخير:

تشـير آيات كثيرة في القرآن الكريم إلى ان الكون قد سـخره الله سـبحانه للإنسان أي طوعّه وذلله ليستطيع الانتفاع به والتصرف فيه، ويمكن ذكر بعض الآيات الكريمة في ذلك:

قال تعالى: «وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا»(1).

- قوله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»(2).

- قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ»(3).

إلى غيرها من الآيات التي تذكر ما سخره الله للانسان في الكون لينتفع به دون تملكه.

ان النظرة إلى ايات التسخير الواردة في القرآن

1- سورة الجاثية: 13

2- سورة النحل: 14

3- سورة الحج: 65

الكريم يمكن ان تبين امور عدة منها:

1- ان هـذا التسـخير المذكور في ايات القرآن الكريم محدود بإرادة الله ولا يسـتطيع الإنسان مهما أوتي من قوة مادية أو علمية ان يحصـر الاستفادة منه بفئة معينة أو افراد محددين، ولذلك فهو لانتفاع الجميع يمكن ان يحصل حق الاختصاص بالانتفاع به عند التزاحم والاسبقية.

2- إذا كان التسـخير الإلهي لمظاهر الكون للانسان نعمة فهي إذاً حق من حقوقه التي منحه الله اياها يستطيع من خلاله الانتفاع بكل ما فيه صلاح لبناء المجتمع.

3- ان جميع موارد الحيـاة خلقهـا الله لنـا، وبالتـالي فـان الانتفـاع بهـا يعتبر في الإسـلام حقاً للجميع، وينبغي ان لا ينظر إليها انها ملكية منحصرة في جيل معين دون غيره بل هي ملكية مشتركة لجميع الناس، ينتفع بها كل جيل بحسيب حاجته دون

اخلال بمصالح الاجيال القادمة(1).

ومن هنا نعلم أن العمارة الحقيقية إنما تبدأ من فكر الإنسان وتنمية وعيه بقيم الحقوق والواجبات العمرانية، ولو فُقدت هذه الأحكام والمبادئ لأصبحت مهمة العمران من مفاسد الأرض وجلب الظلم وانتهاك حقوق الأفراد، وهذا ما قصده ابن خلدون في قوله: «إن الحضارة مفسدة للعمران»(2)، من حيث وصولها إلى مرحلة الترف المؤدي إلى فساد الأخلاق، وتمزق المجتمع، وذهاب ثروته نحو طبقة متفردة تنتهي بها الدولة(3). ولذلك قال الامام في بداية عهده: «وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا»(4).

1- ظ: د. احمد عبد الرحيم وعوض، ود. احمد عبده، قضايا البيئة من منظور اسلامي، مركز الكتاب للنشر، ط 1، القاهرة، 1425 ه - 2004 م، ص 72 - 76

2- ابن خلدون المقدمة 3 / 877

3- الجابري فكر ابن خلدون. العصبية والملك ص 233 وما بعدها

4- نهج البلاغة، ص 695

ومما تقدم يمكن ان ننتهي الى القول: ان التأسيس النظري لفقه العمران عند الامام علي، مرتبط بعدد من المفاهيم والقواعد الكلية، تشكل المنطلق للفعل العمراني، من دونها لا تتحقق غاية العمران.

ص: 59

المبحث الثالث اجراءات فقه العمران عند الامام علي (عليه السلام)

اشارة

اتضح في المباحث السابقة المعالم النظرية لفقه العمران عند الامام علي، وفي هذا المبحث نسلط الضوء على بعض الامور العملية التي اقرها الامام في سبيل عمران الدولة ومواطنيها واقاليمها.

ولعل ما قام الامام علي بتوزيع ثروات الدولة توزيعا عادلا على جميع افراد الامة، من الاجرائيات المهمة في تحقيق العمران:

أولا- إجراءات أولية.

1- المساواة في التوزيع والعطاء:

بدء الامام علي عليه السلام عهده في الخلافة بتعزيز المساواة والعدالة الاجتماعية والاقتصادية

ص: 60

التي من شأنها تحقيق العمران، يقول: «ولا يتخلّفنّ أحدٌ منكم عربيّ ولا عجميّ، كان من أهل العطاء أم لم يكن، إلّا حضر ..»(1).

وفي خطبـةٍ له عليه السـلام يؤكّد مبدأ المساواة والعدالة، يقول: «فأمّا هذا الفيء فليس لأحدٍ على أحد فيه إثرة، وقد فرغ الله من قسـمته، فهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله به أقررنا وله أسلمنا، وعهد نبيّنا بين أظهرنا فمن لم يرضَ به فليتولّ كيف شاء»(2).

فليس لاحد على أحد فضل أو امتياز، وانما الجميع على حد سواء، فلا فضل للمهاجرين على الانصار ولا لأسرة النبي (صلى الله عليه و آله وسلم) و أزواجه على غيرهم، ولا للعربي على غيره، وقد طبق الامام (عليه السلام) هذه الجهة بصورة دقيقة وشاملة فكان قدساوى بين

1- ابن ابي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة: 7 / 37

2- المصدر نفسه: 7 / 40

المسـلمين في العطاء، ولم يميز قوما على آخرين، فقد وفدت اليه سـيدة قرشـية من الحجاز طالبة منه الزيادة في عطائها، وقد التقت قبل أن تصل اليه بعجوز فارسـية كانت مقيمة في الكوفة فسألتها عن عطائها فاذا به يساوي ما خصص لها، فأمسكت بها وجاءت بها اليه، وقد رفعت عقيرتها قائلـة: «هل من العدل أن تساوي بيني وبين هذه الامة الفارسـية؟!!». فرمقها الامام بطرفه، وتناول قبضة من التراب، وجعل ينظر اليه ويقلبه بيـده وهو يقول: «لم يكن بعض هـذا الترب أفضـل من بعض، وتلاـ قوله تعـالى پ: «إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»(1).

وقد سببت هذه الاجراءات العمرانية في اثارة بعض النفعيين، فأعلنوا سخطهم وعداوتهم على

1- سورة الحجرات: الآية 13

الامام، ولم يقف الامر عند هذه الحد بل وصل الامر الى مطالبة بعض اصحابه بالعدول عن اجراءاته، حتى ان الامام اجابهم: «أَتَأْمُرُونِّي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ! وَاللّهِ لَاأَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً! لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللّهِ. أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الآخِرَهِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللّهِ»(1).

ويرى المدائني أن من اهم الاسباب التي أدت إلى تخاذل الكثير عن الامام اتباعه لمبدأ المساواة حيث كان لا يفضل شريفا على مشروف – في العطاء – ولا عربيا على عجمي(2).

1- نهج البلاغة، ص 289

2- شرح ابن أبي الحديد 1 / 180

2- ربط الانفاق بالعمران:

تطوير اقتصاد الدولـة، وتحقيق العمران من اهم اهـداف الانفاق، وقـد أكـد الامام في عهـده للأشتر على عمران الارض قبل جبايـة الخراج يقول: «وليكن نظرك في عمارة الارض أبلغ من نظرك في اسـتجلاب الخراج لان ذلك لا يـدرك إلا بالعمارة، ومن طلب الخراج بغير عمارة اخرب البلاد وأهلك العباد، ولم يستقم أمره الا قليلا...»(1). ولذلك دعا الامام ايضا الى ترشيد الانفاق.

وهذه اهم المبادئ الاقتصادية التي تشجع على الاستثمار وتحقيق الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية لأفراد المجتمع، والتخفيف من مستوى الفقر.

ولـذلك كـانت للأمـام وصايا و اوامر للولاة تعزز روح التعاون وتحقق مبـدا الضـمان الاجتماعي وفي هـذا المجال جاء في عهـده المالك الأشتر «ثم

1- المصدر نفسه

الله الله في الطبقة السـفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسي والزمني فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً واحفظ الله ما اسـتحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسـماً من بيت مالك من غلات صوافي الإسـلام في كل بلد فإن للأقصى مثل الذي للأدنى و كل قد استرعيت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر»(1).

ويختلف معنى الطبقة في زمن الامام (عليه السلام) عن المعاني المتغيرة، للطبقات المتطورة والمستحدثة، في العصور المختلفة، وبخاصة في العصر الراهن، ولذلك يقول في عهده لمالك الأشتر: «وَاعْلَمْ اَنَّ الرَّعِيَّةَ طَبَقاتٌ لا يَصْلُحُ بَعْضُها اِلاّ بِبَعْضٍ، وَ لا غِنى بِبَعْضِها عَنْ بَعْضٍ: فَمِنْها جُنُودُ اللّهِ، وَ مِنْها كُتّابُ الْعامَّةِ وَالْخاصَّةِ، وَ مِنْها قُضاةُ الْعَدْلِ، وَ مِنْها عُمّالُ الْاِنْصافِ وَ الرِّفْقِ، وَ مِنْها اَهْلُ الْجِزْيَةِ وَ الْخَراجِ مِنْ

1- نهج البلاغة ص 438

اَهْلِ الـذِّمَّةِ وَ مُسْـلِمَةِ النّاسِ، وَ مِنْها التُّجّارُ وَ اَهْلُ الصِّناعاتِ، وَ مِنْها الطَّبَقَـةُ السُّفْلى مِنْ ذَوِى الْحاجَـةِ وَ الْمَسْـكَنَةِ، وَ كُلٌّ قَـدْ سَـمَّى اللّهُ لَهُ سَهْمَهُ، وَ وَضَعَ عَلى حَدِّه فَريضَتِهِ فى كِتابِه اَوْ سُنَّةِ نَبِيِّه (صلى الله عليه و آله وسلم) عَهْدا مِنْهُ عِنْدَنا مَحْفُوظاً»(1).

أي ان الدلالة الاقتصادية، والدينية والعسكرية، متداخلة تبعا لتداخل الفئات المذكورة في المجرى العام لحركة العمران الخاصة بالمجتمع والدولة في الاسلام، الا ان الامام علي يركز على (الوحدة) و (التنوع) في التركيبة الاجتماعية للرعية، فهو يرفض عمومية التحدث عن وحدة الرعية، مقدما رؤية واقعية عن مكان كل طبقة، وفعاليتها الاجتماعية والاقتصادية و (العسكرية)(2).

3- الفصل بين الاموال العامة وبين أموال الأفراد ص: 66

1- نهج البلاغة، ص 704

2- ظ: عزيز السيد جاسم، علي سلطة الحق، ص 419

من قبل رجال الدولة والمتصدين للشأن العام:

حرص الامام على نهي ولاته في الامصار على عدم الاستئثار بأي شيء من الأموال العامة، فقد تحرج الامام فيها كأشد ما يكون التحرج.

وبالتأكيد ان يحصل مثل هذا الامر من قبل اهل الطمع، الذين لا يناسبهم زهد الامام (عليه السلام) وأقواله حيث يقول: «ولكن هيهات أن يغلبني هواي ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة – ولعلّ بالحجاز أو باليمامة من لا طمع له في القرص ولا عهد له بالشبع – أو أبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرى أو أكون كما قال القائل:

وحسبك عاراً أن تبيت ببطنة *** وحولك أكباد تحن الى القد

أأقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين ولا اشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش! فما خلقت ليشغلني أكل الطيبات

ص: 67

كالبهيمة المربوطة همها علفها أو المرسلة شغلها تقممها تكترش من أعلافها وتلهو عما يراد بها أو أترك سدى..»(1).

وتذكر بعض المصادر ان الامام اجاب عمر بن الخطاب عندما سأل عما يصلح لي من بيت المال فقال له الامام علي: «غداء، وعشاءٌ فأخذ عمر بذلك»(2).

وكان يقول الامام (عليه السلام) لأصحابه في هذا الشأن إني سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) يقول: «لا يحل للخليفة من مال الله إلا قصعتان، قصعة يأكلها هو وأهله»(3).

ثانيا - بيت المال و الخراج والعمران:

يعد «بيت المال» مجمع الثروة الاجتماعية للدولة

1- المصدر نفسه: 16 / 287

2- ابو يوسف، الخراج، ص 35

3- مسند أحمد في المسند، 1 / 78. وظ: ابن كثير، البداية والنهاية: 8 / 2، مكتبة المعارف بيروت

الاسلامية، ومصدر تنظيمها وتوزيعها، ويحمل بيت المال معنيين، حسب نوع السياسة العامة لقيادة الدولة(1):

الأول: قد يكون بيت المال الحكومي الذي يكرس إرادة قيادة سلطة الدولة ومصالح الفئات الاجتماعية المرتبطة والموالية لها، وهو بهذه المعنى ذو دلالة طبقية، ممثلة لمصالح القوى السياسية والطبقة المتنفة ومنافية للمعنى الذي حدده الاسلام لبيت المال.

الثاني: وهو المصداق الذي حدده التشريع الإسلامي، ويكون ماثلا في تكريس بيت المال لخدمة المسلمين ومن يعيش في كنف الدولة عموما.

وتتكون خزائن بيت المال بشكل اساس من «الخراج» و «الجزية» وبقية الموارد مثل الزكاة وغيرها، ويعد الخراج الدعامة الأساسية الإقتصاد

1- ظ: عزيز السيد جاسم، على سلطة الحق، ص 422

الدولة في الاسلام في ذلك الوقت؛ لان اغلب مراتب الجند – مثلا – من موارد الخراج: «فإذا ادت الرعية إلى الوالي حقه، وادي الوالي اليها حقها، عز الحق بينهم وقامت مناهـج الدين، واعتدلت معالم العدل، وجرت على اذلالها السـنن فصـلح بذلك الزمان وطمع في بقاء الدولة ويئست مطامع الاعداء»(1).

ومن الاخطاء الفادحة التي تمثل انحرافا خطيرا عن المضمون العمراني الاجتماعي لبيت المال، توجه أجهزة الدولة وجباتها الى الافراط في الجبايـة، على حسـاب الاهتمـام بعمران الارض، أي أن اسـتجلاب الخراج يصـبح سـياسة النظام وهمّه الكبير، دونما أي اكتراث بالعلاقة الاقتصادية والسياسية بين الخراج وأحوال الناس(2).

وكان منهج الامام علي في العمران «وحدة

1- نهج البلاغة، ص 419

2- ظ: عزيز السيد جاسم، علي سلطة الحق، ص 423

العنايـة بالخراج والجزية بالانطلاق من الاهتمام بعمران الارض»، فهو يقول في عهده للأشتر «وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلاَبِ الْخَرَاجِ»،(1) غير ان عمران الارض – نفسه – مرتبط أصـلا بمكانة الانسان وقيمته(2)، لذلك يقول: «وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَة أَخْرَبَ الْبِلاَدَ، وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً»(3).

وتظهر وحـدة الافق بين الانسان وعمران الارض والخراج وبناء الدولـة في ذلك التأصـيل المنهجي لوحـدة العلاقـة الاقتصادية بمضـمونها العمراني الانسـاني بين تلك الاطراف في قوله عليه السـلام: «وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ، فَإِنَّ فِي صَلاَحِهِ وَصَلاَحِهِمْ صَلاَحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ، وَلاَ صَلاَحَ

1- نهج البلاغة، ص 712

2- ظ: عزيز السيد جاسم، علي سلطة الحق، ص 423

3- نهج البلاغة، ص 712

لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلاّ بِهِمْ، لاَنَّ النَّاسَ كُلّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ»(1).

ولكي يؤدي الخراج فاعليته المادية والمعنوية حرص الامام على وضع مجموعة من الاسس التشريعية ليحقق الخراج اثره العمراني:

1- محاسبة العمال على سياستهم عند المخالفة. حرص الامام علي بنهجه العادل على محاسبة الولاة والعمال الذين يمثلون سياسة الدولة، ومتابعة أعمالهم، ذلك ان الولاة والعمال هم وجه السلطة، وصورتها المعبرة عنها، في الامصار والمناطق البعيدة عن مركز الخلافة، فالناس يرون في الولاة والعمال عليهم صورة الخليفة ووجه الدولة، والممثل لنهجها و سياستها(2)، فاذا انهارت ثقة الناس بهؤلاء انهارت الدولة.

1- المصدر نفسه

2- ظ: عزيز السيد جاسم، علي سلطة الحق، ص 433

ومن كتاب له (عليه السلام) إلى مصقلة بن هُبَيرة الشيباني وهو عامله على أردشير خُرّة: يلزمه بإعادة المبلغ الذي أخذه من بيت المال، والذي أنقذ فيه من الاسر خمسمائة رجل معظمهم من بني بكر بن وائل قوم مصقلة، قال فيه: «بَلَغَنِى عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلهَكَ، وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ: أَنَّكَ تَقْسِمُ فَىْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِى حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ، فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَالَّذِى فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَئِنْ كَانَ ذلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَىَّ هَوَاناً، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِى مِيزَاناً، فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ، وَلاَ تُصلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً»(1).

2- تحصيل الخراج بالحق، فمن كتاب له عليه السلام إلى قيس بن سعد بن عبادة، وهو عامله

1- نهج البلاغة، ص 673، وذكره البلاذري في انساب الاشراف، ص 160

على آذربايجان: (اما بعد فاقبل على خراجك بالحق، وأحسن إلى جندك بالإنصاف، وعلم من قبلك مما علمك الله)(1).

وبلغ من احتياط الإمام (عليه السلام) لتحقيق العدل انه كان يوصي عمال صدقاته بالتأدب مع الناس والتزام اللطف بهم، وجاوز ذلك إلى إلزامهم بالرفق بحيواناتهم المستحقة لفريضة الصدقات عليها «ولا تنفرن بهيمة، ولا تفزعنها، ولا تسوءن صاحبها فيها» ونصح بالرفق بما جبي من حيوانات الصدقة والعناية بها، لأنها ملك لبيت مال المسلمين والمستحقين لها، «ولا توكل بها إلا ناصحا شفيقا وأمينا حفيظا، غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب»(2).

3- اتباع سياسة التحذير لمن يعطل او يؤخر

1- تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 178

2- نهج البلاغة، ص 611

الحراج من الولاـة، وسـياسة التشـجيع والتحفيز لمن يجلبه في وقته، وهـذا جـانب التحقيق العمران في اقـاليم الدولـة، فمن كتاب له (عليه السلام) الى يزيد بن قيس الارحبي(1): «أما بعد فإنك أبطأت بحمل خراجك، وما أدري ما الذي حملك على ذلك، غير أني أوصيك بتقوى الله، وأحذرك أن تحبط أجرك وتبطل جهادك بخيانة المسلمين، فاتق الله ونزه نفسك عن الحرام،

1- قال الشيخ الطوسي (تحت الرقم السادس من باب الياء من اصحاب أمير المؤمنين (ع) من رجاله ص 62 -: يزيد بن قيس الارحبي كان عامله على الري و همدان و اصبهان. وفي شرح المختار - 25) من خطب نهج البلاغة من شرح ابن ابي الحديد: ج 2 ص 4 س 1، عكسا: انه (ع) شكا قومه ممن كاتب معاوية من اهل (الجند وصنعاء) إليه، وأراد (ع) أن يبعثه للتنكيل بهم. فراجع القضية فانها دالة على جلالته، لا سيمـا باضافـة مـا قيل من أنه أخو سـعيد بن قيس الهمـداني المتفاني في ولاء أمير المؤمنين (ع) هو خاصـة، وقومه عامـة. وفي قصـة اعتزال الخوارج عليا (أمير المؤمنين عليه السـلام) من تاريـخ الطبري: ج 4 ص 47، من حوادث سنة 37، وكـذلك في كامل ابن الأثير: ج 3 ص 166

ولا تجعل لي عليك سبيلا، فلا أجـد بدا من الايقاع بك، واعزز المسـلمين ولا تظلم المعاهدين، «وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»(1)»(2).

ومن كتاب له (عليـخ السـلام) إلى سـعد بن مسـعود الثقفي – عم المختار – عامله على المدائن: «أما بعد فإنك قد أديت خراجك وأطعت ربك وأرضيت إمامك فعل البر التقي النجيب، فغفر الله ذنبك وتقبل سعيك وحسن مآبك»(3).

وتأكيـدا للردع والنهي عن الجور والفساد في هذا الشأن – وهو الهاجس الذي يؤرق الإمام (عليه السـلام) ويشـغل باله لما شـهده في زمان العمال قبله – حذر

1- القصص: 28

2- تاريخ اليعقوبي: ج 2 ص 176

3- المصدر نفسه

الإمام عمال الخراج، في كتاب وجهه إليهم، من سوء التصرف والتعسف في معاملة الناس واضطرارهم إياهم إلى ما لا يجوز ولا يصح «ولا تبيعن الناس في الخراج – أي بسببه – كسوة شتاء ولا صيف، ولا دابة يعتملون عليها، ولا عبدا، ولا تضر بن أحدا سوطا لمكان درهم»(1).

4 – الحرص على قوة وهيبة الدولة أمام الرعية، مع الاحتفاظ بالرحمة في باطن العمال. وعدم التعدي على حاجات الناس الأساسية، والرحمة بهم والعفو عنهم. ومما يدلل على هذا المنهج العمراني خطابه عليه السلام لاحد قَالَ: «اِسْتَعْمَلَنِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهّ عَنْهُ عَلَى عُكْبُرَاءَ فَقَالَ لِي وَأَهْلُ الأَرْضِ معي يسمعون «انْظُرْ أَنْ تَسْتَوْفِيَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَرَاجِ وَإِيَّاكَ أَنْ تُرَخِّصَ لَهُمْ فِي شَيْءٍ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَرَوْا مِنْكَ ضَعْفًا، ثُمّ قَالَ: رُحْ إِلَيّ عِنْدَ الظُّهْرِ، فَرُحْتُ إِلَيْهِ عِنْدَ

1- نهج البلاغة، ص 693

الظُهْرِ فَقَالَ لِي: إِنَّمَا أَوْصَيْتُكَ بِالَّذِي أَوْصَيْتُك بِهِ قُدَّامَ أَهْلِ عَمَلِكَ لأَنَّهُمْ قَوْمُ خِدَع، انْظُرْ إِذَا قَدِمْتَ عَلَيْهِمْ فَلا تَبِيعَنَّ لَهُمْ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلا صَيْفٍ، وَلا رِزْقًا يَأْكُلُونَهُ، وَلا دَابَّةً يَعْمَلُونَ عَلَيْهَا وَلا تَضْرِبَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ سَوْطًا وَاحِدًا فِي دِرْهَمٍ، وَلا تُقِمْهُ عَلَى رِجْلِهِ فِي طَلَبِ دِرْهَمٍ، وَلا تَبِعْ لأَحَدٍ مِنْهُمْ عَرَضًا فِي شَيْءٍ مِنَ الْخَرَاجِ، فَإِنَّا إِنَّمَا أُمِرْنَا أَنْ نَأْخُذَ مِنْهُمُ الْعَفْوَ فَإِنْ أَنْتَ خَالَفْتَ مَا أَمَرْتُكَ بِهِ يَأْخُذُكَ اللهُ بِهِ دُونِي وَإِنْ بَلَغَنِي عَنْكَ خِلافَ ذَلِكَ عَزَلْتُكَ قَالَ: قُلْتُ: إِذَنْ أَرْجِعُ إِلَيْكَ كَمَا خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ قَالَ: وَإِنْ رَجَعْتَ كَمَا خَرَجْتُ قَالَ: فَانْطَلَقْتُ فَعَمِلْتُ بِالَّذِي أَمَرَنِي بِهِ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أُنْقِصْ مِنَ الخَرَاجِ شَيْئًا»(1).

ويستشرف الإمام علي، المصير الذي سارت إليه دولة الأمويين، من خلال نظرتها القصيرة إلى الخراج، مقترناً لديها بالاستغلال، ذلك الذي ألبّ

1- الخراج لأبي يوسف، ج 1 ص 15

عليها شـعوب البلدان المفتوحة. وخلافاً لذلك، حرص علي على تكريس الشـعور بالمساواة لدى هذه الشـعوب، محذراً من اسـتغلال أهل الخراج، وموصياً بالتالي أن يؤخذوا باللين والحوار والمودة.(1) ولعل كتابه إلى عمّال الخراج، يشكل نموذجاً في هذا المجال، محدداً وظيفة الخراج وطبيعتها وصفات العامل عليه ورسالته. وقد جاء فيها: «فانصفوا الناس من أنفسكم، واصبروا لحوائجهم، فإنكم خُزّانُ الرعية ووكلاء الأمـة وسـفراء الأئمـة، ولاـ تحسـموا أحـداً عن حـاجته ولا تحبسوه عن طِلبتهِ، ولا تبيعُنّ للناس في الخراج كسوةَ شـتاءٍ ولا صـيف ولا دابة يعتملون عليهـا ولا عبـداً، ولا تضـربُنّ أحـداً سوطاً لمكانٍ درهم، ولا تمسُّن مال أحـد من الناس مُصَلّ ولا مُعاهَـدٍ، إلا أن تجـدوا فرساً أو سلاحاً

1- د. ابراهيم بيضون / «الامام علي في رؤية النهج» و «رواية التاريخ»

يُعتدى به على أهل الإسلام»(1).

أن الامـام علي «كان يؤمن بمقولـة (الناس على دين ملوكهم) وليس بمقولـة (كيفما تكونوا يولّ عليكم) فأشـد ما كان يشـغل فكر الإمام هو صلاـح ذوي الشـأن القـائمين على أمور النـاس في مجـال الإدارة والقضاء والـدفاع وغيرها من شؤون إدارة الدولـة، انطلاقا من إيمانه بمقولة (صـلاح الرعيـة بصـلاح الوالي) لـذلك لا نجـد في (العهـد) كله غير تفصـيلات واجب المسؤول تجاه مسؤوليه وتـذكيره بإقامة حكم الله وسلطان الحق فيهم، ثم رعايتهم بأقصى ما يستطيع من ذلك»(2)

ثالثا - اولوية العمران على جلب الخراج:

ص: 80

1- نهج البلاغة، ص 693

2- الـدكتور صـاحب أبو جنـاح، السـياسة الإداريـة عنـد الإمـام علي عليه السـلام قراءة في عهـد التوليـة لمالك الأشتر: . http://arabic .balaghah.net/content

اتبع الامـام علي سـياسة اقتصاديـة واقعيـة في الخراج، توازن بينه وبين الواقع الاجتماعي والاقتصادي لمواطني الدولـة، ليؤدي الخراج دوره العمراني.

من خلال الضـبط الإداري والتفويض والصـلاحية بحسب كل حالـة، فأمر بعض الولاة بطاعة صاحب بيت المال فيما يتعلق به وذلك كنوع من الاسـتقلال، بينمـا أعطى ولاـة آخرين مسؤوليـة عامـة عن الحراج كالأـشتر النخعي جاء في العهـد: «هَـذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْـدُ اللّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُـؤْمِنِينَ، مَالِـكَ بْـنَ الْحَـارِثِ الْأَـشْتَرَ فِي عَهْـدِهِ إِلَيْـهِ، حِينَ وَلَّاهُ مِصْـرَ: جِبَـايَةَ خَرَاجِهَـا، وَجِهَـادَ عَـدُوِّهَا، وَاسْتِصْـلَاحَ أَهْلِهَـا، وَعِمَـارَةَ بِلَادِهَا...»(1)

وقـد عمـد الامام علي في بعض الحالات إلى فصل وظيفـة الخراج، كـذلك بيت المال، ضـبطاً لماليـة الدولـة، وحتى لا تكون السـلطات محصورة بكاملها

1- نهج البلاغة، ص 610

في يد الوالي الذي قد يلجأ إلى استغلال نفوذه الواسع. ولقد روى اليعقوبي أن علياً كتب إلى قرظة ابن كعب الأنصاري، يأمره بشق نهر كان قد عفا في أرضٍ لأهل الذمة، خاتماً رسالته بالقول: «فلعمري لأن يعمروا أحب إلينا من أن يخرجوا»(1). وهكذا يأتي تشجيع الزراعة في خدمة الاستقرار، ويقترن الخراج بعمارة الأرض وإصلاحها، ولعل هذه السياسة، وإن وجدها البعض «شديدة»، لا سيما المتضرّر من المساواة، حفرت بعمق أمام الإسلام لينتشر بتلك السرعة في البلاد المفتوحة(2).

اهتم الامام في الحفاظ على عمران الأراضي وأولويتها على أمر الخراج، وان كان الخراج مورداً رئيساً لبيت المال الذي تعتمد عليه الدولة في سد حاجاتها المالية مع الإضرار به يؤثر على حياة الأفرادا

1- تاريخ اليعقوبي، 2 / 192

2- د. ابراهيم بيضون / «الامام علي في رؤية النهج» و «رواية التاريخ»

وربما يؤدي إلى هلاكهم.

ولذلك يروي ان الامام (عليه السلام) كان في احد الايام يمشي في سكك الكوفة، فنظر إلى رجل يستعطي الناس: فوجه الإمام السؤال إلى من حوله من الناس قائلاً: ما هذا؟ فقالوا: إنه نصراني كبر وشاخ ولم يقدر على العمل، وليس له مال يعيش به، فيكتنف الناس.. فقال الإمام - في غضب: استعملتموه على شبابه حتى إذا كبر تركتموه؟ ثم جعل الإمام (عليه السلام) لذاك النصراني من بيت مال المسلمين مرتباً خاصاً ليعيش به حتى يأتيه الموت(1).

وهذا يدل على أن الفقر كاد أن لا يرى لنفسه مجالاً في دولة الإمام حتى إذا رأى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فقيراً واحداً كان يستغرب، ويعتبره ظاهرة مخالفة للعمران الذي اراده الله تعالى على هذه الارض وغير لائقة بالمجتمع الانساني.

1- الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج 15 ص 66 ب 19 ح 19996

ولـذلك امر مالـك الاشتر بعمران الارض اولا وليس جلب الخراج، ليخفف عن الناس ويزدهر العمران، قال الامام «وليكن نظرك في إعمار الأرض أبلغَ من نظرك في اسـتجلاب الخراج لأن ذلك يُدَركُ بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أضـر بالبلاد وأهلك العباد ولم يسـتقم أمره إلا قليلاً، فإن شـكوا ثقلاً أو علة أو انقطاع شـرب أو إحالة أرض اغتمرها غرق أو أجحف بها عطش خفَفتَ عنهم بما ترجوا أن يصـلح به أمرهم. فإن العمران محتمل ما حملته وإنما خراب الأرض من إعواز أهلها وإنما إعوازها أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع وسوء ظنهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعِبر...»(1).

كانت نظرة الامام علي إلى الخراج – الذي يرتبط عضوياً بالعطاء –، خصوصاً بعد توقف الغنائم إثر ركود جبهات الفتوح. وهي نظرة تؤسـس لعلاقة

1- نهج البلاغة، ص 713

إيجابية مع شعوب البلاد المفتوحة، بما يسهم في عمرانها وتعزيز انتمائها للأمة. لذا يرى ضرورة إصلاح أمر الخراج، بما يتعدى الجباية، إلى المسألة الاقتصادية برمّتها، حيث يشكل الخراج المصدر الأساسي لها في ذلك الوقت،(1) وهذا ما يمكن قراءته بوضوح في عهده للأشتر، فيوصيه قائلاً: «تفقد أمر الخراج بما يُصلح أهله، فإن في صلاحه وصلاحهم، صلاحاً لِمَن سِواهم، ولا صلاح لمن سِواهم إلا بهم، لأن الناس كلّهم عيال على الخراج وأهله. وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغَ من نظرك في استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يُدرك إلا بالعمارة. ومن طلب الخراج بغير عبارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً»(2).

فإذا تعرضت الأرض إلى عطش بسبب شحّة

1- د. ابراهيم بيضون / «الامام علي في رؤية النهج» و «رواية التاريخ»

2- نهج البلاغة، ص 624

المطر أو انقطاع مياه الري أو إلى آثار الفيضان أو الآفات الزراعيـة لزمه التخفيف عن كاهل أهلها –عنـد الجباية – بما يصـلح أمرهم، وليس في ذلـك خسـارة على بيت المـال بـل تشـجيع لهم على معـاودة الإنتاج بجـد ونشاط، وإصـلاح عمارة الأرض، فضـلا عما فيه من إشاعة الطمأنينة في نفوس الناس تجاه أولياء الأمور، واسـتعدادهم للبذل والمعونة عند حدوث أزمة أو إلمام ملمة. فليس من المصلحة استنزاف ما في ايدي المزارعين، لأن خراب الأرض يؤتى من إعواز أهلها الناجم عن إلحاح أهل الجباية والتحصيل، وهو ما حذّر منه الإمام ع، لأنه من مظاهر الفساد والجور وسوء التدبير(1) لان من «طلب الخراج بغير عمارة الأرض أخرب البلاد

1- الـدكتور صـاحب أبو جناح، السـياسة الإداريـة عنـد الإمام علي (عليه السـلام) قراءة في عهـد التوليـة لمالك الأشتر:. http://arabic .balaghah.net/content

وأهلك العباد»(1)

وبالعودة إلى المصادر التاريخية، نجد ان الإمام علياً يلتزم القاعدة التي اشار بها على عمر بن الخطاب بالامتناع عن تقسيم الاراضي التي فتحت عنوة بين الفاتحين، وبالتالي لزوم إبقائها بيد اهلها، كي لا تؤول الى الخراب بانتقالها الى الغير(2).

وكذلك عرف عن الامام علي انه كان يعمل جهده على تحقيق عدالة التوزيع والحيلولة دون تكتل الاراضي والضياع بيد افراد قلائل يستأثرون بها، دون عمرانها، ولذلك بادر فور توليه الخلافة الى الامر بإرجاع القطائع التي اقطعها عثمان الى بيت المال، يقول: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال،

1- نهج البلاغة، ص 713

2- ظ: الحنبلي، الاستخراج، ص 37، وظ: باقر شريف القرشي، ص 23

فإن الحق القـديم لا يبطله شـيء ولو وجـدته قد تزوج به النساء وفرق في البلدان لرددته إلى حاله، فإن في العدل سـعة ومن ضاق عنه العدل فالجور عليه أضيق»(1).

وهي سـياسة أثارت على الخليفة الأسبق قريشاً وبعض صحابتها، كما أثارت قادة الأمصار الذين استفزهم منح الخليفة عثمان قطائع لهؤلاء ولأقربائه، وهو ما يبدو أنه كان أحد حوافز القادة للثورة على الخليفة. ولذلك كان استرداد هذه «القطائع»، جزءاً من الحركة الإصـلاحية التي استهدفت من جانب علي مجمل نهج الخليفة السابق، على كافة الصعد السياسية والإدارية والاقتصادية.

1- ابن أبي الحديد المعتزلي، شرح نهج البلاغة، ج 1، ص 269 270

الخاتمة

بعد هذه الوقفة الفكرية مع عهدعلي عليه السلام، يمكن ذكر بعض المستخلصات:

1. ورد لفظ اشـتقاق لفظ العمران والعمارة في نهج البلاغة سبع مرات، اثنان اريد بها العمران المعنوي وخمس منها المادي، وهذه الألفاظ الخمسة وردت جميعها في عهده (عليه السلام) للأشتر.

2. وربط معنى العمارة الماديـة بالعبارة الروحيـة، حيث المبـدأ العام للشـريعة، وتحقيق التمكين، ركن اساس في تأصـيل فقه العمران عند الامام علي (عليه السلام).

3. تضـمن عهد الامام علي المالك الاشتر تأكيدا على اولوية العمران البشري ومن ثم عمارة الأرض بالبناء و الصناعة والزّراعة والانتفاع بما فيها كجزء

ص: 89

من مقتضيات الاستخلاف العامّ للنّاس في الأرض.

4. لقد سبق الإمام علي في نهج البلاغة في تأصيل مفاهيم فقه العمران وحولها الى إلى إجراءات عمل ضمها عهده للأشتر، و مشاريع بناء، وعمارة للأرض من اجل المساهمة في صياغة فعل إنساني يتجاوز انحطاط الواقع وغموض المستقبل.

5. في مجال فقه العمران يلزم التركز على محورين، هما: فطرة الإنسان، وطبيعة العمران. ومن خلالهما فإنّ علم العمران مؤهل لتقديم خدمات معرفية لتلك الأصول، ولذلك فان التأسيس النظري لفقه العمران عند الامام علي، مرتبط بعدد من المفاهيم والقواعد الكلية، تشكل المنطلق للفعل العمراني، من دونها لا تتحقق غاية العمران.

6. تظهر وحدة الأفق بين الإنسان وعمران الأرض وبناء الدولة في ذلك التأصيل المنهجي

لوحدة العلاقة الاقتصادية بمضمونها العمراني الإنساني بين تلك الأطراف، ولكي يؤدي المنهج فاعليته المادية والمعنوية حرص الإمام علي على وضع مجموعة من الأسس التشريعية لتحقق الموارد المالية للدولة اثرها العمراني.

7. حرص الإمام علي بنهجه العادل على محاسبة الولاة والعمال الذين يمثلون سياسة الدولة، ومتابعة أعمالهم، ذلك ان الولاة والعمال هم وجه السلطة، وصورتها المعبرة عنها، في الأمصار والمناطق البعيدة عن مركز الخلافة، فالناس يرون في الولاة والعمال عليهم صورة الخليفة ووجه الدولة، والممثل لنهجها و سياستها، فاذا انهارت ثقة الناس هؤلاء انهارت الدولة.

ص: 91

المصادر والمراجع

- القران الكريم.

- نهج البلاغة.

1. إبراهيم بيضون، الإمام علي في رؤية النهج ورواية التاريخ، الناشر: بيسان للنشر والتوزيع والاعلام، ط، 2 2009، بيروت.

2. ابن أبي الحديـد: عز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسـين المعتزلي (ت: 656 ه)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1977م.

3. ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد التونسي المالكي (ت 808 ه)، المقدمة، دار الكتب العلمية، ط 8، بيروت، 2003 م.

4. ابن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس،

ص: 92

5. ابن قدامة (ت 630 ه)، المغني، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

6. ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف بيروت.

7. أبو عبيدة القاسم بن سلام، الأموال، مكتبة الكليات الأهرية، القاهرة، 1968 م.

8. أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم القاضي، كتاب الخراج، المطبعة السلفية، القاهرة، ط 2، 1352 ه.

9. احمد سلامة، حماية البيئة في الفقه الإسلامي، مجلة الاحمدية، دبي سنة 1998، ص 295، عن احمد فتح الله الزيادي، www.islamicrabta.com .

10. احمد عبد الرحيم وعوض، ود. احمد عبده، قضايا البيئة من منظور اسلامي، مركز الكتاب للنشر، ط 1، القاهرة، 1425 ه – 2004 م، ص 72 – 76.

11. امحمّد مالكي، ابن خلدون والعُمران البشري من منظور فقه السياسة (إعداد)، موقع: تادارات مركز الدراسات الاباضية، http://www.taddart.org

12. البغوي، ابو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي (ت 516 ه)، تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل / ، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، بيروت، دار المعرفة، ط 1، 1406 ه.

13. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر المتوفي سنة 279 ه، كتاب جمل من أنساب الأشراف حققه وقدم له الأستاذ الدكتور سهيل زكّار، والدكتور رياض زركلي / بإشراف مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / الطبعة الأولى: 1417 ه.

14. الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي المتوفي سنة 370 ه، أحكام القرآن، ضبط نصه وخرج آياته عبد السلام محمد شاهين / ط 1، 1415 ه – 1994 م / دار الكتب العلمية بيروت لبنان. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ج 15 ص 66 ب 19 ح 19996.

15. حمد إبراهيم منصور، عدالة التوزيع والتنمية الاقتصادية: رؤية إسلامية معاصرة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص 327.

16. الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن محمد

بن عمر بن محمد (ت 538 ه) تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عبد الرزاق المهدي، بيروت دار إحياء التراث العربي، ب ت ط

17. صاحب أبو جناح، السياسة الإدارية عند الإمام علي عليه السلام قراءة في عهد التولية لمالك الأشتر:http://arabic.balagah.net/content.

18. الطوسى، ابو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، الناشر: مكتب الاعلام الاسلامي طبع على مطابع: مكتب الاعلام الاسلامي الطبعة: الاولى، 1409 ه.، 6 / 15.

19. عبد الهادي علي النجار، الإسلام والاقتصاد، سلسلة عالم المعرفة (63)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1983، ص 61.

20. عزيز السيد جاسم، علي سلطة الحق، تحقيق: صادق جعفر الروازق، الغدير للطباعة والنشر،، قم، 2007 م.

21. فؤاد عبد المنعم أحمد، السياسة الشرعية وعلاقتها

ص: 95

بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة، البنك الإسلامي للتنمية، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، 2001، ص 51

22. فؤاد عبد المنعم أحمد، السياسة الشرعية وعلاقتها بالتنمية الاقتصادية وتطبيقاتها المعاصرة

23. قراءة في كتاب علم العمران الخلدوني تأليف: صالح طاهر مشوش، موقع المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

24. قراءة في كتاب علم العمران الخلدوني * تأليف: صالح طاهر مشوش، موقع المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

25. القرافي : شهاب الدين أحمد بن إدريس (ت: 684 ه)، دار الكتب العلمية، بيروت ط 1، 1998 م.

26. القرطبي: محمد بن احمد بن ابي بكر (ت 671 ه): الجامع لاحكام القرآن المعروف ب(تفسير القرطبي)، تحقيق: احمد عبد العليم البردوني، مطبعة دار الشعب القاهرة، ط 2، 1372 ه.

27. الكاساني، علاء الدين أبي بكر بن مسعود (ت 587 ه) بدائع الصنائع:، دار الكِتَاب العربي

ص: 96

بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، 1402 ه – 1982 م.

28. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الاسلامي، دار الفكر، ط 5، بيروت، 2005 م.

29. محمد شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، ط 19، القاهرة، 2007 م.

30. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون، العصبية والدولة، مركز الوحدة العربية، بيروت، 1994 م.

31. محمود المظفر، الثروة المعدنية، دار الحق، ط 2، بيروت، 1419 ه – 1998.

32. منذر عبد الحسين الفضل، الملكية ووظيفتها الاجتماعية في الشريعة الإسلامية، مجلة الحقوق، السنة السادسة، العد الأول 1982، ص 113 الكويت.

33. موقع: موسوعة الانسنة المتوسطية.

34. الميزان في تفسير القرآن / العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1402 ه) ط 3، بيروت، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، 1393 ه. و طبعة ثانية، ط 1 المحققة، بيروت، 1417 ه.

35. نصـر محمـد عارف، نظريات التنمية السياسـية المعاصـرة: دراسة نقدية مقارنة في ضوء المنظور الحضاري الإسـلامي، ط 4، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2006.

36. اليعقوبي: احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، (ت 284 ه)، تاريخ اليعقوبي، نشر دار صادر – بيروت (د.ط) (ب.ط)

ص: 98

المحتويات

مقدمة المؤسسة:...5

المقدمة...9

المبحث الأول: المقاربة الاصطلاحية للعمران ومستوياته البنيوية...14

المستويات البنيوية للعمران:...28

المستوى العلمي والمعرفي:...30

المبحث الثاني: مرتكزات فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام)...33

المرتكز الأول: وحدة العمران البشري و الاقتصادي:...36

المرتكز الثاني: تحقيق النفع العام:...37

المرتكز الثالث: مرتكز الاستخلاف والتسخير:...45

المبحث الثالث: إجراءات فقه العمران عند الإمام علي (عليه السلام)...60

أولا – إجراءات أولية...60

ثانيا – بيت المال و الخراج و العمران:...68

ثالثا – أولوية العمران على جلب الخراج:...80

الخاتمة...89

المصادر والمراجع...92

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹